إنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}

أَمَّا بَعْدُ:

ثم إنّني أحمد الله عز وجل إليكم أن يسر لنا أن نجتمع في هذا المجلس، وأسأل الله عز وجل أن يرزقنا جميعا فيه الإخلاص والعزم على العمل، وأن يجعله من المجالس التي تسرنا عند لقائه سبحانه وتعالى.

أيها الفضلاء: في هذه الجائزة العلمية الرسمية في الجامعة الإسلامية؛ جائزة الشيخ صالح المحيسن -رحمه الله عز وجل- للمتون العلمية ودراساتها، سنشرح -إن شاء الله عز وجل- منظومة السعدي -رحمه الله عز وجل- في القواعد الفقهية، وهذه المنظومة في تسعة وأربعين بيتاً، وقد نظمه الشيخ على بحر: الرجز، لأن هذا البحر يروق في السمع، ويسهل في الحفظ.

وهذه المنظومة فيها أمهات القواعد الفقهية، وأغلبها مما اتفق عليه العلماء، وما وقع فيه خلاف منها فإن الشيخ ذكر الراجح الذي يدل عليه الدليل، وهذه من مَيْزات هذه المنظومة العظيمة النافعة، وسنشرحها -إن شاء الله عز وجل- شرحاً ليس بالمختصر المخلّ بالمقصود، ولا بالمطوّل الذي يخرج عن الوقت المعين المحدود، سنشرحها -إن شاء الله- شرحا يتناسب مع الوقت، ونبدأ مباشرة بشرح المنظومة لأن ترجمة الشيخ رحمه الله عز وجل معروفة معلومة، وقد سبق لي أن ترجمت للشيخ رحمه الله بين يدي بعض الشروح لكتبه رحمه الله عز وجل.

وأما بعض المقدمات التي لا بد منها في القواعد الفقهية فسترد -إن شاء الله- عند الموطن المناسب في أبيات هذه المنظومة.

يقول الشيخ –رحمه الله عز وجل–: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والبسملة قد أُثبتت في أكثر نسخ المنظومة، كما أنها قد أثبتت في شرح الشيخ –رحمه الله– للمنظومة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الباء: للابتداء والاستعانة والتبرك.

و اسم: هو مشتق من السمة التي هي: العلامة، أو من السمو الذي هو: الرفعة.

و الاسم بالنسبة لله –عز وجل–: علم يدل على ربنا –سبحانه وتعالى– متضمن لمعناه.

فهي ليست أسماء جامدة، بل أسماء تتضمن المعاني، ولذلك يقرر علماؤنا أن كل اسم يتضمن صفة، فكل اسم تؤخذ منه صفة.

باسم الله: اسم مفرد مضاف، وكما علمتم في أصول الفقه –وسيأتينا إن شاء الله في آخر المنظومة– أن الاسم المفرد إذا أضيف يدل على العموم، فيكون المعنى كأنك قلت: بكل اسم لله، فيدخل في قولك **باسم الله** كل أسماء الله سبحانه وتعالى.

باسم الله: الله –عز وجل–: هذا اسم من أسماء الله –سبحانه وتعالى–، وهو رأس الأسماء، و تتبعه الأسماء، و هو دالّ على جميع الأسماء، الله: هو الإله ذو صفات الكمال و الجمال و الجلال، و هو المألوه المعبود المستحق للعبادة، فلا يستحق العبادة سواه سبحانه وتعالى.

الرَّحْمَنِ: اسم من أسماء الله –عز وجل–.

ومعناه: ذو الرحمة السابقة السابغة، فرحمة الله –عز وجل– سابقة قد سبقت غضبه، وسابغة قد وسعت كل شيء، فهي رحمةٌ واسعة لكل شيء.

و الرَّحِيمِ: ذو الرحمة الواصلة للموحدين المؤمنين به –سبحانه وتعالى–.

فالموحدون يدخلون في الرحمة الواسعة ولهم منها النصيب الأوفى، ولهم رحمة خاصة لا تكون لغيرهم وهي التي دل عليها اسم الرحيم.

وتقدير الكلام: باسم الله أنظم هذه المنظومة.

لأنه يقدَّر لكل أمر فعل يناسبه، فلما كان ذلك في بداية المنظومة كان تقدير الكلام: باسم الله أنظم هذه المنظومة.

الحمدُ للـهِ العـليِّ الأَرْفَقِ ... وجَـامِعِ الأَشْيـاءِ وَالمُفـرِّقِ

الحمد لله: فبعد البسملة بدأ الشيخ بالحمدلة، فجمع بين البسملة والحمدلة، اقتداءً بكتاب الله –سبحانه وتعالى–، فإن كتاب الله مبدوء بالبسملة، ثمَّ الحمدلة، وهذا الذي سار عليه كثير من العلماء، أنهم في كتبهم يجمعون بين البسملة والحمدلة اقتداءً بالقرآن.

ومن أهل العلم من يبدأ بالبسملة، ولا يذكر بعدها الحمدلة باعتبار أن الكتاب مكتوب فيكون كالقرآن.

وبعض أهل العلم يبدأ بالحمدلة باعتبار أن الكتاب يُسمع فيكون كالخطب، وخطب النبي صلى الله عليه وسلم كانت تُبدأ بالحمدلة.

الحمد لله: الحمد: هو الثناء على المحمود بصفات الكمال مع محبته وتعظيمه.

وبعض أهل العلم يقولون: وصف المحمود بالكمال، مع محبته وتعظيمه.

وهذا القيد الأخير هو الذي يُفرَّق به بين المدح والحمد.

فالمدح: وصف بالمحامد، وبالثناء، لكن لا يلزم منه أن يكون مع المحبة والتعظيم.

أما الحمد فمع المحبة والتعظيم.

فإذا كُرِّر الحمد كان ثناءً –انتبهوا يا إخوة!–، إذا أُفرد الحمد فهو ثناء بالمعنى، حمد بالاسم، فاسمه حمد ومعناه الثناء، فإذا كُرر الثناء مرة أخرى أصبح ثناء معنى واسماً، فيصبح اسمه الثناء، ومعناه الثناء، فإذا كرر الحمد مرة ثالثة صار تمجيداً، فمعناه الثناء واسمه التمجيد، ولكن شرطه التكرار المتعددَ.

إذن الثناء على الله عز وجل بصفات الكمال مع المحبة والتعظيم هذا حمد، فإذا كرره الحامد صار ثناء اسما ومعنى، فإذا كرره صار تمجيدا، كما في الحديث الصحيح المعروف عند (مسلم) في قول النبي صلى الله عليه وسلم إن الله قال: (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فإذا قال: الحمد لله رب

العالمين؛ قال الله: حمدني عبدي، فإذا قال: الرحمن الرحيم قال الله: أثنى علي عبدي، فإذا قال مالك يوم الدّين؛ قال الله: مجّدني عبدي).

فهذا بيان من النبي صلى الله عليه وسلم، وإذا بيّن النبي صلى الله عليه وسلم اللفظ أو المعنى فإنه لا يُتعدى، بلْ يُلزم.

الحمد لله: الله؛ كما تقدم هذا أعظم الأسماء الحسنى، وبعض العلماء يقول هو الاسم الأعظم الذي إذا دعي الله به أجاب، ولا شك أن هذا محتمل أن يكون الله هو الاسم الأعظم، وهو كما قدّمنا اسم تتبعه الأسماء، ولا يتبع الأسماء.

وقد بيّنا معناه فيما تقدّم، فهو ذو العبودية الخالصة سبحانه وتعالى.

الحمد لله العليّ؛ (**العليّ**): اسم لله -عز وجل- متضمن لصفة ذاتية من صفاته سبحانه وتعالى، فالعليّ هو الذي له العلوّ المطلق، له العلوّ المطلق من جميع الوجوه، فالله سبحانه وتعالى عالٍ قبل أن يخلق الخلق، وبعد أن خلق الخلق، وبعد أن يبعث الخلق سبحانه وتعالى، له علوّ الذات، فذاته عالية مستوٍ على عرشه سبحانه وتعالى، وله علو القدر المطلق، وله علو القهر؛ فالله قاهر كل شيء.

الحمد لله العليّ الأرفق: الله عز وجل رفيق كما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم، ويحب الرفق، فأفعاله كلها فيها الرفق لأنها مبنيّة على الحكمة، وشرعه كلّه فيه الرفق لأنه مبني على الحكمة والتيسير والرّحمة، فالله سبحانه وتعالى رفيق، كما قال النبي صلى الله عليه وسلّم (إن الله تعالى رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه) رواه مسلم.

ولما كان الله عز وجل له من كل صفة أكملها ساغ أن يقول الشيخ: الأرفق، مع أن الذي ورد في الحديث (**إن الله رفيق**)، فلما كان لله عز وجل من الصفات أكملها ساغ أن يكون الشيخ: الأرفق، فهو -سبحانه وتعالى- له أكمل هذه الصفة.

وجامع الأشياء والمفرق: هذا خبر عن فعل الله، هذا ليس تسمية ولا وصفاً، هذا خبر عن فعل الله عز وجل، وأن الله –عز وجل– يجمع الأشياء لحكمة عظيمة، ويفرق بين الأشياء لحكمة عظيمة، وهذا موجود في فعله –سبحانه– وموجود في شرعه أيضا.

فالله عز وجل جمع بين الناس في أمور كثيرة، جمع بينهم في العينين، وفي مكان العينين، وفي الأنف وفي مكان الأنف، و في العقل وفي القلب، وفي كثير من الأشياءز

وفرق بينهم بحكمة في أشياء، كاللسان، فهذا لسانه عربي، وهذا لسانه أعجمي، و الأعاجم لهم ألسنة مختلفة لا يفهم بعضهم بعضاً؛ فرّق بينهم في الألسن، وفرّق بينهم في الألوان، وفرّق بينهم في الجمال، وفرّق بينهم في الفهم، وكل هذا بحكمة عظيمة، وكذلك في شرعه سبحانه وتعالى، يجمع بين المتماثلات ويفرق بين المختلفات، فإذا وجدت الله عز وجل في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم جمع بين أمرين في الحكم فاعلم أنهما يتماثلان، وإذا فرق بينهما في الحكم فاعلم أن بينهما فرقا مؤثراً ولا بدّ، وجامع الأشياء والمفرق.

وهذا البيت قد استهل به الشيخ المنظومة، وهذا فيه براعة الاستهلال، لأن الشيخ أثنى على الله –عز وجل– بما يُنبئ ويتعلق بمقصود المنظومة، وموضوع المنظومة، فالقواعد الفقهية فيها علوّ لطالب العلم في الفقه، فطالب العلم في الفقه إذا فتح الله له في علم القواعد الفقهية فإنه تكون له منزلة عالية في علم الفقه، كما أن القواعد الفقهية تحتاج إلى علوّ الهمة من طالب العلم، و أن يكون عاليَ الهمّة في حفظها، و عاليَ الهمّة في فهمها،كما أنّ في القواعد الفقهية الرفق بطالب العلم، لأنها تجمع له المسائل الكثيرة، المتباعدة، المتناثرة في سلك واحد، وفي عبارات يسيرة، فكان الابتداء بهذا البيت مناسباً جداً لموضوع هذه المنظومة.

ذِي النِّعَمِ الواسِعَةِ الْغَزِيـرَة ... والحِكَـمِ الباهِـرَةِ الكَثِيـرَة

ذو النِّعَمِ الواسِعَةِ الْغَزِيـرَة: هذا معنى اسم الله المنعم، فهو سبحانه ذو النعم، التي هي الخير على سبيل الإحسان والمنفعة.

النعمة: الخير على سبيل الإحسان والمنفعة، فالله عز وجل ذو النعم الواسعة التي وسعت كل شيء، فما من شيء إلا وهو يتقلب في نعم الله عز وجل.

الغزيرة: أي الكثيرة المتتابعة، فالغزارة تجمع بين الوصفين: الكثرة والتتابع، يقال مطر غزير: أي أنه كثير منهمل متتابع.

وقد أحسن الشيخ في هذا، فنعم الله عز وجل لا يحصيها عدّ، ولا يحيطها حد، فهي كثيرة وهي متتابعة، النعمة الواحدة لا يمكن للإنسان أن يحيط بها، النعمة الواحدة فضلاً عن نعم الله -عز وجل-. نعمة البصر هذه لا تستطيع أن تحيط بها، فهي متجددة في كل ثانية، بل في كل لحظة لا ندرك وزنها متجددة، ونعم الله -عز وجل- كثيرة أيضاً.

والحِكَـمِ الباهِـرَةِ الكَثِيـرَة: هذا معنى اسم الله الحكيم، أو من معاني اسم الله الحكيم، فالله عز وجل هو الحكيم بمعنى أنه الحَكم، وله الحُكم، وذو الحِكم، فمن معاني اسم الله الحكيم أنه ذو الحِكم، والحِكم لها معنيان:

المعنى الأول: الغايات المحمودة.

والمعنى الثاني: وضع الشيء في موضعه مع الإتقان.

وكلا المعنيين مراد هنا، فالله عز وجل له غايات محمودة في فعله وشرعه سبحانه وتعالى، ففعله معلَّل بالحِكم، وشرعه معلل بالحِكم، الله عز وجل لا يفعل شيئاً إلا لغاية محمودة، ولا يشرع شيئاً إلا لغاية محمودة، وقد وضع كل شيء في موضعه سبحانه وتعالى.

فحِكمه كثيرة باهرة تَبهَر العقول، ومهما قلّبت النظر في خلق الله؛ لا ترى إلا حكمةً و إتقاناً، ومهما قلبت الفكر في شرع الله؛ لا ترى إلا حكمةً ورحمةً وإحساناً.

فالله ذو الحكم الباهرة الكثيرة.

ثُـمَّ الصَّـلاةُ معْ سَـلامٍ دَائـمِ ... عَلى الرَّسولِ القُرَشِيِّ الخاتَمِ

ويصح أن تقول **[عَلى الرَّسولِ القُرَشِيِّ الخاتِمِ]** يصح بفتح التاء، ويصح بكسر التاء، وبهذا، وهذا قُرئ في القرآن، فبعض القرّاء قرأ: خاتَم النبيين، وبعضهم قرأ: خاتِم النبيين، هذا على النصب، وبعضهم قرا على الرفع.

ثُـمَّ الصَّـلاةُ: جاء بـ(ثم) لأن الأوّل حق الله وهو مقدّم على كل حق، ثم أعقبه بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أعظم الحقوق للمخلوقات، أعظم حق لمخلوق هو حق محمد صلى الله عليه وسلم، أعظم حق على المخلوق هو حق الله، وأعظم حق لمخلوق هو حق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثُـمَّ الصَّـلاةُ معْ سَـلامٍ دَائـمِ: قال الله عز وجل: **﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾**

والصلاة أصلها في اللغة يعود إلى معنيين: التعبد و التبريك.

والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم اختلف العلماء في تفسيرها، فبعض أهل العلم قالوا: هي رحمة الله له صلى الله عليه وسلم، وهذا هو المشهور عند كثير من العلماء المتأخرين، لكنه مرجوح، بل ضعيف، أعني بمعنى أو تفسير الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة، هذا قول ضعيف، لأنه لا خصوصية للنبي صلى الله عليه وسلم فيه، فرحمة الله عز وجل للمؤمنين عامّة، الرحمة سواء كما قلنا الرحمة الواسعة أو الرحمة الواصلة.

وبعض أهل العلم قال: معنى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يعني المغفرة، أن الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهذا وإن كان أقوى من الأول لأن للنبي صلى الله عليه وسلم فيه خصوصية، وهي مغفرة الذنب كلّه ما تقدم وما تأخر، إلا أنه مرجوح أيضاً.

والراجح أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من الله هي الثناء عليه في الملأ الأعلى.

فالله عز وجل يُثني على نبيه صلى الله عليه وسلم في الملأ الأعلى، ويُظهر شرفه صلى الله عليه وسلم.

ثُمَّ الصَّلاةُ معْ سَلامٍ دَائمٍ: السلام هو: السلامة من كل عيب وشر، والسلامة لدينه من التحريف.

فالنبي صلى الله عليه وسلم مسلَّم من كل عيب، ومسلَّم من كل شر، ومن عاداه فالله عدوه، وسيبتره سبحانه وتعالى.

معْ سَلامٍ دَائمٍ: والجمع بينهما هو الذي ورد في القرآن، ويصح إفراد أحدهما، فيصح أن تقول: صلى الله عليه.

ويصح أن تقول: عليه السلام.

ولا كراهة في إفراد أحدهما على الراجح من أقوال أهل العلم.

ثُمَّ الصَّلاةُ معْ سَلامٍ دَائمٍ ... علَى الرَّسُول: الرسول هنا: أل: للعهد، للعهد الذهني والعهد الذكري، أل هنا: للعهد، للعهد الذهني والعهد الذكري.

أما الذهني: فإن كل مؤمن إذا سمع الرسول فإن الذي يتبادر إلى ذهنه إنما هو محمد صلى الله عليه وسلم.

وأما الذكري: فإن الشيخ قال: **ثُمَّ الصَّلاةُ معْ سَلامٍ دَائمٍ ... علَى الرَّسُول القرشي الخاتِم**، فهذا ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فتكون أل هنا: للعهد، فالمقصود هو محمد صلى الله عليه وسلم.

والرسول هو: من أوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه.

والنبي؛ إذا أُفرد قد يكون بمعنى الرسول، -وانتبهوا لهذه القضية، لأن بعض طلبة العلم يسمع أن كثيراً من العلماء يفرقون بين الرسول والنبي فتشكل عليه بعض النصوص- النبي إذا أفرد هكذا، قيل: النبي، فإنه يأتي بمعنى الرسول، وهذا في غالب النصوص.

أما إذا اجتمعا، فبعض أهل العلم يرى أنه لا فرق بينهما، وبعض أهل العلم يفرقون: فبعضهم يقول الرسول هو: الذي أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه.

والنبي: هو الذي أُوحي إليه بشرع ولم يُأمر بتبليغه.

وهنا يا إخوة المقصود لم يؤمر بتبليغه بلاغا عاما لقومه، وإنما يكون له ولعشيرته ومن حوله.

وبعض أهل العلم يقولون:

الرسول: هو الذي أوحي إليه بشرع جديد.

والنبي: هو المجدّد لشرع رسول قبله، لكنه مجدد بوحي، يوحى إليه ليجدد، كأنبياء بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام، فإنهم كانوا يجددون ما جاء به موسى عليه السلام.

على الرسول القرشيّ: فالنبي صلى الله عليه وسلم من قريش، اصطفاه الله من قريش، وقد اصطفى الله قريشاً من العرب، واصطفى العرب من العالمين.

فالنبي صلى الله عليه وسلم هو المصطفى، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين فلا نبي بعده،كما قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَكِن رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِين**﴾

وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**وأنا خاتم النبيين**) والحديث في الصحيحين.

وقال أيضا: (لا نبي بعدي) -ففسر خاتم النبيين- قال:(لا نبي بعدي) وهذا أيضا في الصحيحين.

فمعنى خاتم النبيين: أنه لا نبي بعده.

وقد كمَّل الدين، وكمُل وجُمِّل به الدين، فدينه خاتم الأديان، فهو أكملها و أجملها، وهو الدين المحفوظ إلى يوم القيامة.

وَآلِهِ وصَحبِـهِ الأَبْـرارِ ... الحائِزِي مَراتِبَ الفِخَـارِ

وَآلِهِ: الصحيح من أقوال النحاة أنه يجوز إضافة (الآل) إلى الضمير، فتقول: آلك، وآله وآل، الرجل، يصح أن يضاف إلى المفرد، ويصح أن يضاف إلى الضمير.

وآله: أي آل النبي صلى الله عليه وسلم

وللعلماء في تفسير (الآل) رأيان:

الرأي الأوّل: أن آل النبي صلى الله عليه وسلم هم أهل بيته، وهم من حرُمت عليهم الصدقة.

والرأي الثاني: أنهم أتباع دينه إلى يوم القيامة، فيدخل في ذلك الصحابة، ومن لم ير النبي صلى الله عليه وسلم، على القول الثاني أنهم أتباع دينه إلى يوم القيام، يدخل فيه من؟ الصحابة ومن لم ير النبي صلى الله عليه وسلم ممن آمن به، فإنهم يكونون من آله.

طيب؛ على المعنى الأوّل:

وَآلِهِ وصَحبِـهِ: يكون هذا من باب عطف العام على الخاص، الآل خاص بالنسبة لزمن النبي صلى الله عليه وسلم، والصحب عام يشمل الآل وغيرهم، بالنسبة لزمن النبي صلى الله عليه وسلم.

وعلى المعنى الثاني: يكون من باب عطف الخاص على العام، لأن الصحب يدخلون في الآل، فيكون من باب عطف الخاص على العام.

وَآلِهِ وصَحبِـهِ الأَبْـرارِ: الذين جمعوا البر والإحسان.

الحائِزِي مَراتِبَ الفَخَـارِ أو الفِخَارِ

الحائزي: أي الجامعي، فهو من الجمع والضم، أصله الحوز، والحوز هو الجمع والضم، فهم جامعون لكل ما يَفتخر به المؤمنون، فكل ما يفتخر به مؤمن لهم منه النصيب الأوفى، مع ما لهم من الخصائص، كل ما يفتخر به مؤمن فلهم منه النصيب الأوفى، يعني مثلا مؤمن يفتخر بالعلم،

الصحابة رضوان الله عليهم لهم من العلم النصيب الأوفى، مع ما لهم من خصائص، فهم قد شاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم، وهم منهم المهاجرون ومنهم الأنصار، وهم قد تعلموا العلم من النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة، وهم قد رضي الله عنهم، ومات النبي صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم، فهم حائزوا المراتب العليا.

اِعْلَمْ هُدِيتَ أَنَّ أفضلَ الْمِنَنْ ... عِلمٌ يُزِيلُ الشَّكَّ عَنْكَ وَالدَّرَنْ

اِعْلَمْ: فعلٌ يؤتى به في الشرع، وفي لسان العلماء قبل الأمور العظيمة. إذا وجدت اعلم أو اعلموا فاعلم أن هناك أمراً عظيماً تدل عليه، كما قال الله عز وجل: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ**﴾، وكما قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم: (اعلم أنّ شرف المؤمن: قيامه بالليل، وعزّه: استغناؤه عما في أيدي الناس، اعلم؛ جبريل يقول للنبي صلى الله عليه وسلم :(اعلم أنّ شرف المؤمن: قيامه بالليل، وعزَّه: استغناؤه عما في أيدي الناس)، فقول جبريل عليه السلام (اعلم) هذا يدل على أن ما بعده أمر عظيم، ولا شك أنه أمر عظيم، دلالة على شرف المؤمن وعزّ المؤمن، وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم (**واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة**).

فقول الشيخ هنا اعلم هذه إشارة ودَلالة على أن المذكور بعدها أمر عظيم، ينبغي على المؤمن أن يتشبث به، وأن لا يزهد فيه.

اِعْلَمْ هُدِيتَ: هذا دعاء للقارئ والسامع، وهذا أسلوب عظيم.

أن يُشعر الداعي والمخاطبُ المدعوَ والمخاطب: بالرحمة، وأنّه إنما يدعوه إلى خيره، وأنه إنما يريد له الخير، وهذا أسلوب يحرّك القلوب، ويقرّب القلوب إلى الحق، وهو أسلوب الأنبياء عليهم السلام، وأسلوب السلف الصالح رضوان الله عليهم.

اِعْلَمْ هُدِيتَ: وخصّ الشيخ الدعوة بالهداية هنا؛ لحكمة، وأمر عظيم، وهي: أن طلب العلم سبب للهداية، أما الهداية فهي بيد الله عز وجل، فينبغي لطالب العلم مع حرصه على العلم أن يكون لهّاجا بسؤال الله الهداية، وأن يسأل الله أن يهديه.

ومن جهة أخرى: ينبغي على طالب العلم كلما تقدم في العلم أن يستشعر أن هذا من فضل الله، فسلوكه طريق طلب العلم من فضل الله، وعمله بما يرضي الله مما تعلمه من فضل الله، فلا يغتر ولا يتكبّر، بل يعلم أن الخير كله الذي هو فيه إنما هو من الله، فلولا الله ما اهتدى إلى طريق العلم، ولولا

الله لما اهتدى إلى ضبط العلم، ولو لا الله ما اهتدى إلى العمل بالعلم، فيتواضع لله -عز وجل- ويتواضع لخلق الله.

ولذلك من يتعلم لله كلما تقدم في العلم كلما زاد تواضعا للخلق ومن قبل ذلك تواضعا لله وذلة لله سبحانه وتعالى، فتجده سبّاقا إلى العبادات، حريصا على الإحسان إلى الخلق.

اِعْلَمْ هُدِيتَ أَنَّ أفضلَ الْمِنَنْ: أعظم النعم

طيب يقول قائل: يا شيخ نعمة الإسلام هي أعظم النعم على الإطلاق، ونعمة التوحيد للمسلم هي أعظم النعم فكيف يقول الشيخ: **اِعْلَمْ هُدِيتَ أَنَّ أفضلَ الْمِنَنْ ... عِلْـمٌ**، فجعل أفضل النعم العلم؟!

نقولُ: إنَّ الجواب من جهتين:

الجهة الأولى: ان الخطاب لمسلم موحّد، فيكون تقدير الكلام: اِعلم أيها المسلم الموحد أن أعظم نعم الله عز وجل عليك في إسلامك وتوحيدك؛ العلم.

والوحه الثاني: أن الإسلام والتوحيد مبني على العلم، كما قال الله: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**﴾، فالعلم يسبق القول والعمل، فبالعلم يهتدي الإنسان للإسلام بفضل الله، وبالعلم يعرف المسلم التوحيد بفضل الله، فالعلم سابق لكل قول وعمل وشرفه بحسب المسبوق، العلم بالله ليس كالعلم بالمخلوق، وهكذا.

اِعْلَمْ هُدِيتَ أَنَّ أفضلَ الْمِنَنْ ... عِلْـمٌ: وهذا العلم؛ المقصود به العلم الشرعي، والمقصود به العلم النافع، يعني علم شرعي نافع.

طبعا يا إخوة كل علم شرعي فهو نافع في ذاته، لكن لا يلزم أن يكون نافعا لمن علم به، كل علم شرعي جاء به الشرع فهو في ذاته نافع، لكن لا يلزم أن يكون نافعا لمن تعلمه فقد يتعلم الإنسان العلم الشرعي ولا ينفعه، ولا يرفعه، بل يُكب بسبب ذلك في النار والعياذ بالله.

إذن (**علـمٌ**) هذا مقيد بقيدين: العلم الشرعي، والنافع.

ولذلك قال: يُزِيـلُ الشَّـكَّ عَنْكَ وَالـدَّرَنْ.

يُزِيـلُ: إما بالدفع وإما بالرفع، إما بالدفع قبل الوقوع، وإما بالرفع بعد الوقوع.

يُزِيـلُ الشَّـكَّ: وهذا مرض الشبهات، التي ترد على القلب، فيشكّ في التوحيد، أو يشك في السنة، أو يشك في أنّ أهل البدع على حق، فترد عليه شبهات تحرفه عن صراط الله المستقيم، ما الذي يدفع بفضل الله هذه الشبهات قبل وقوعها؟

العلم الشرعي النافع، والعلم الشرعي النافع: هو الذي يكون مأخوذا من الشرع وعن أهله، فإن بعض الذين يعلّمون يغرسون الشبهَ في قلوب الطلاب، ربما تجد رجلا يدرس صحيح البخاري، وإذا تكلم عن السند فنعما هو، أعني من حيثُ العلمُ، وإذا تكلم عن المتن فكلامه جيّد، لكن يدسّ السمّ في العسل، ويلقي الشبهات على الطلاب، حتى تكون بذرة ثم تنمو وتكبر وتكبر.

فالعلم النافع هو الذي يكون شرعيا، ويؤخذ عن أهله، فيزيل الشك، يدفع لاشبهات.

ولذلك يا إخوة الذي يتعلم على أيدي أهل السنة لا تجد عنده شبهات، تجد أنه على السنة، ومطمئن القلب بالسنة، وإذا وجدت الشبهة سمعها من غيره أو كذا، عالجها أهل السنة، وهذا معنى قولي بالدفع أو بالرفع، فإذا تسلّلت الشبهة بوجه من الوجوه، وكان هو مع أهل السنة ويتعلم عند أهل السنة فإنهم يعالجونه سريعا فلا تتمكن الشبهة من قلبه بل تُرفع قريبا من وقوعها.

وَالـدَّرَنْ: هو المعاصي، قذر الذنوب، وسخ الذنوب، الشهوات المحرّمة، وذلك أن العلم يزيد الإيمان، لأنه من الطاعات، فيقوى المؤمن على الشهوة.

بالعلم النافع يا أحبة يقوى القلب وتضعف الشهوة، ما نقول: تموت، تبقى الشهوة قائمة، وقد يذنب طالب العلم ويقع في الذنب، لكن الذي يتعلم العلم الشرعي النافع تجد أن قلبه أقوى من غيره، وأن الشهوة بالنسبة له أضعف من غيره، وهذا ضابط تضبط به نفسك في العلم.

يا أخي إذا أخذت طريق العلم الشرعي، في دراسة نظامية، الجامعة الإسلامية، في حلق المسجد النبوي، في حلق المشايخ، زن نفسك بهذا الميزان، أنا درست أسبوعاً، كيف أنا والشبهات والشهوات؟ أزن نفسي، ثم درست شهرا كيف أنا؟

فإن وجدت أني كما كنت قبل الطب فاعلم أن هناك خللاً، إما في النيّة، وإما في المطلوب، وإن وجدت أنّي بحمد الله أزكو وأصلح كلما تقدمت في طلب العلم، علمت أن الطريق صحيح، وأستمر في هذا الطريق، وأسأل الله -عز وجل- الثبات.

ولا شك أن فضل العلم فضل عظيم، وقد تكلمت مرارا وتكرارا في بيان فضل العلم، فديننا في الحقيقة دين علم، يرفع من شأن العلم والعلماء.

وَيَكْشِفُ الحقَّ لِذِي القُلُوبِ ... وَيُوصِلُ العَبْدَ إلى المطْلُوبِ

هذا العلم وقاية وهداية: أما الوقاية ففي البيت الأول، وقاية من الشبهات والشهوات المحرمة، وأمّا الهداية فهي هداية البيان، وهذا في هذا البيت الذي معنا، **وَيَكْشِفُ الحقَّ لِذِي القُلُوبِ** ، فالعلم يتبين به الحق بشرط أن يكون سامع العلم ذا قلب، يُحضر قلبه عند الطلب، ويكون شهيداً بجسده وقلبه، (**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**)، ولذلك الشيخ قال: **وَيَكْشِفُ الحقَّ لِذِي القُلُوبِ**.

لا بد من أن يكون له قلب يفهم، وليس الكلام يا إخوة عن الخِلقة، وإنما الكلام عن المكتسب، الذي في فعل الإنسان، وهذا القلب يُزكّى وينمَّى، يزكَّى بطاعة الله، وينمَّى بالعلم النافع، وبإحضاره ومجاهدة الشيطان عند حضور الدرس، لأن الشيطان كما ذكرتُ مراراً يحرص على أن يصرف طالب العلم عن حلق العلم، وقد يعينه على ذلك شياطين الإنس، نعم بعض الإنس أشد مكرا من الشياطين، ولذلك للأسف بعض طلاب الجامعة إذا جاء الطلاب المستجدون وقفوا على أبواب المسجد النبوي يمنعون طلاب العلم من حضور حلق أهل العلم والمشايخ، بغير برهان ولا سلطان، هذا من عمل الشياطين.

وَيَكْشِفُ الحقَّ لِذِي القُلُوبِ ... وَيُوصِلُ العَبْدَ إلى المطْلُوبِ

المطْلُوب: هو إرضاء الله عز وجل، هو الجنة، والعلم يوصل طالبه إلى المطلوب بفضل الله سبحانه وتعالى، (**من سلك طريقا يلتمس به علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة**)

فمن أعظم الطرق التي توصل إلى الجنة العلم، فهو يوصل إلى المطلوب، (**ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين**) كما قال النبي صلى الله عليه وسلم.

فَاحْرِصْ على فَهْمِكَ للقَواعِدِ ... جَامِعَةِ المَسَائِلِ الشَّـوارِدِ

تلحظون هنا أن الشيخ فرّع، فقال: فـ ، فـ ، الفاء للتفريع، تفريع على ما تقدّم، **اِعْلَمْ هُدِيتَ أَنَّ أفضلَ الْمِنَنْ ... عِلْـمٌ يُزيلُ الشّكَّ عنْكَ والدَّرنْ**

كان الأقرب للذهن أن يقول: فاحرص على طلب العلم، احرص على العلم، لكن الشيخ عدل عن ذلك فقال: **فَاحْرِصْ على فَهْمِكَ للقَواعِدِ** ، ليبيّن الشيخ أن القواعد من أعظم وسائل تحصيل العلم.

أن تضبط الكليات لترد إليها الجزئيات هذا أعظم طرق العلم، أعظم طرق العلم أن تضبط الكليات، وتكتسب مهارة رد الجزئيات إليها، لأن الجزئيات لا تتناهى، أما الكليات فتنضبط، فمن أعظم ما يضبط لطالب العلمِ العلمَ ويحصّل به طالب العلمِ العلمَ؛ القواعد، في كل فن، في كل فن احرص على فهمك للقواعد.

والقواعد: جمع قاعدة.

والقاعدة في اللغة: بمعنى الثابتة، والأصل لما فوقها.

القاعدة بمعنى الثابتة، ومنه: تسمى المرأة عند كبرها قاعدة، (وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ) لأنها تقلّ حركتها كأنّها ثابتة، ومنه يُسمّى الأشلُّ مُقعداً، فالمشلول الذي لا يستطيع الحركة؛ يُقال: مُقعد، أي أنه ثابت.

وكذلك من معاني القاعدة في الأصل في اللغة: أنها الأصل لما فوقها، فتكون أصلا ويبنى عليها شيء، أويتفرع عنها يشيء، (**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ**)، القواعد: هي أصل البيت، وبُنى عليها البيت.

والقاعدة في معناها العام: حكم كلي منطبق على جزئياته.

حكم: يعني تكون فيه نسبة أمر إلى أمر، مع احتمال الثبوت أو النفي.

ما هو الحكم؟

تكون فيه نسبة أمر إلى أمر، مع احتمال الثبوت أو النفي، أقول: زيد منكم يحفظ المنظومة هذا حكم، زيد يحفظ المنظومة، نسبت إلى زيد أو أسندت إلى زيد أنه يحفظ المنظومة، يُحتمل الإثبات فيقول: نعم أحفظها والحمد لله، ويحتمل النفي، فيقول: ما أحفظها، فهذا أصل الحكم.

حكم كلي: والكلي بعبارة مختصرة هو: الجامع لصور كثيرة، ويصلح في الجملة أن يصدَّر بكل.

بعيداً عن تفسيرات المناطقة، عند أهل العلم الكلي أو الكل: هو الذي يجمع صورا كثيرة، ويصلح في الجملة أن يصدَّر بكل.

فهو على درجتين:

الدرجة الأولى: يصلح أن يصدر بكل، وهذا أقوى، كأن أقول مثلا: المشركون في النار، هل هذا حكم كلي أو لا؟

حكم كليّ، لأنه يصح أن أقول: كل المشركين في النار، لا يخرج عن هذا شيء.

والمرتبة الثانية وهي أقل من الأولى: أنه يجمع صورا كثيرة، قد تخرج عنه بعض الصور، لكنه يجمع صورا كثيرة.

حكم كلي منطبق على جزئياته: لا بد أن ينطبق على جزئيات كثيرة، وقلَّ أن توجد قاعدة لا تنطبق إلا على مسائل قليلة، قليل جداً، أكثر القواعد تنطبق على مسائل كثيرة منها ما وقع، ومنها ما يتجدد.

لكن فيه قواعد هي من حيث الصلاحية كليّة، لكن من حيث الواقع لا تدخل تحتها عند العلماء مسائل كثيرة، يعني أُعطيكم مثالاً :

قاعدة: (من استعجل شيئا قبل أوانه عوقب بحرمانه)، هي قاعدة عند الشافعية وهي قاعدة عند الجميع، ولعلها تأتي -إن شاء الله-، لكن هي قاعدة من القواعد الكلّية عند الشافعية، ومع ذلك فلا يدخل تحتها باتفاق الشافعية، يعني لا يدخل تحتها بالاتفاق أنه يدخل؛ إلا فرع واحد وهو: قتل الوارث لمورّثه عمدا يُحرم من الميراث، ثم هناك فرعان اختلف فيهما الشافعية: هل تدخلان أو لا تدخلان، ومع ذلك تسمى عندهم قاعدة، لأنها من حيث القوة والصلاحية حكم كلي، لكن الغالب أن القواعد الفقهية لها جزئيات كثيرة تنطبق عليها.

ونحن الآن نتكلم عن القاعدة من حيث هي قاعدة.

وأل هنا -في قول الشيخ للقواعد-: عهدية، أي: القواعد الفقهية، أو لقواعد الفقه، لأن الشيخ هنا لا يتكلم إلا عن قواعد الفقه، نعم هذا البيت من حيث هو يصلح لكل قاعدة، يصلح أن يقوله النحوي **فَاحْرِصْ على فَهْمِكَ للقَواعِدِ ... جَامِعَةِ المَسَائِلِ الشَّوارِدِ** يصلح، يصلح عند الدعاة في علم الدعوة، يصلح في كل العلوم، لكن مراد الشيخ هنا: هو القواعد الفقهية.

والقواعد الفقهية هنا: مركب وصفي، ويصح أن تقول قواعد الفقه مركب إضافي.

القواعد تقدم معناها بالكلمة التي وردت في البيت.

الفقه في اللغة هو: الفهم مطلقا على الراجح من أقوال أهل العلم.

وأما في الاصطلاح الشرعي عند علماء الشريعة فله معان:

المعنى الأول: العلم بالدين، العلم بالدين، من علم بالدين فهو فقيه، وهذا مراد النبي صلى الله عليه وسلم في قوله (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين).

وأما المعنى الثاني: فهو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية، ولا أستطيع أن أشرح، وأفترض أنه سبق لكم أن سمعتم هذا وشُرح لكم.

وأما المعنى الثالث: فهو بالأحكام الشرعية العملية مع أدلتها التفصيلية، مع أدلتها التفصيلية، انتبهوا!، الأول المكتسب من الأدلة التفصيلية، فالعالم هو الذي يكتسب الحكم، يستنبط الحكم، هنا

لا، مع أدلتها التفصيلية، يعرف الحكم لكنّ الغالب أنه لم يستنبطه، ولكنه يعرف الأحكام مع أدلتها التفصيلية، مثل الإمام ابن قدامة رحمه الله ومثل الإمام النووي رحمه الله، أكثر ما عندهم من الفقه لم يستنبطوه، ولكنهم يعرفون الأحكام الشرعية العملية مع أدلتها التفصيلية كما تراه في المغني، وكما تراه في يالمجموع، فهؤلاء فقهاء ولا شك، لكن لو اقتصرنا على التعريف الأول ما ينطبق عليهم أنهم فقهاء، لكن هذا التعريف يدخلون فيه.

وأما المعنى الرابع -وهو الذي شاع عند المتأخرين-: فهو حفظ الفروع الفقهية، الذي يحفظ الفروع الفقهية في مذهب أو أكثر أصبح يسمى فقيها، الذي يعرف الأحكام عن الشافعية، الذي يعرف الأحكام عن المالكية، الذي يعرف الأحكام عند الحنفية، الذي يعرف الأحكام عن الحنابلة، يسمى فقيهاً وبعضهم يمكن أنه ما يعرف الأدلة، يعني شيخ وله تلاميذ في البلد يدرسون على يديه، وهو باذل وقته لكن قل أن تسمع منه دليلا، ولكنه حافظ فروع المذهب، حفظا جيدا، فهذا عند المتأخرين يسمى فقيها، وعندي والله أعلم أن هذا المعنى الأخير هو الأقرب لأن تضاف إليه القواعد، وإن كان يصلح ما تقدم من المعاني بوجه من الوجوه، لكن في الجملة أبرز ما في القواعد الفقهية أن طالب العلم يتمكن بها من حفظ الفروع الفقهية، وضبط الفروع الفقهية.

ولذلك ماذا قال الشيخ هنا: **فَاحْرِصْ على فَهْمِكَ للقَواعِدِ ... جَامِعَةِ المَسَائِلِ الشَّـوارِدِ**

فأبرز ما في القواعد الفقهية: أنها تجمع لطالب العلم المسائل المتبدّدة، المتباعدة في الكتب، التي تشرد من الذهن ويصعب حفظها، وهذا الذي يشتكي منه طلاب الفقه، يقولون نحن ندرس ندرس ندرس، وعندما نسمع من الشيخ ما شاء الله، لكن سرعان ما تشرد وتذهب، من القيود التي تقيدها بل أوثق القيود القواعد، أنك إذا حفظت فروعا تردها إلى قواعدها الكلية، وتضبطها بقواعدها الكلية.

ولذلك تُعرَّف القواعد الفقهية بأنها: حكم كلي يُتعرَّف منه أحكام جزئياتها الفقهية مباشرةً في أكثر من باب.

حكم كلي، وهذا الصحيح، ولا حاجة لأن يقال: أغلبي لأن هناك مستثنيات.

حكم كلي: القواعد الفقهية كلية، والمستثنيات في الحقيقة لا تصلح أن تدخل تحت القاعدة، تذكروا ما ذكرناه مرارا وذكرناه قبل قليل في أول الكلام: أن الشرع إذا فرّق بين أمرين علمنا أن بينهما فرقاً مؤثراً، فإذا كان الشرع قد جعل لهذه المسألة حكما يخالف بقية المسائل علمنا أن هذه المسألة لا تشبه بقية المسائل، وإن أشبهتها في الصورة لكنها في الحقيقة لا تشبه بقية المسائل، فهناك فرق خاص بها يجعلها تخرج عن القاعدة ولا تكون داخلة في القاعدة.

حكم كلي يُتعرف: يُتعرف: المقصود منه أنه يحتاج إلى بذل في الفهم، يعني ليس كل من قرأ القواعد أتقن القواعد، ليس كل من قرأ القواعد أتقن القواعد، يحتاج إلى بذل، تحتاج أن تقرأها على عالم متمكن، منها محب لها، أنا دائما أقول للإخوة: إذا أردت أن تتنعم بالقواعد الفقهية فأطل طبخها، لا تعجل عليها، فيُتعرف يعني: يحتاج إلى إعمال ذهن ودربة حتى تصبح عندك ملكة، أنك إذا رأيت الفرع تستطيع مباشرة أن تقول هذا الفرع يدخل في تلك القاعدة، هذا الفرع يرجع إلى تلك القاعدة، إذا أحسنت التعلم لها.

يُتعرف منه حكم الجزئيات الفقهية: هذا يخرج غير الفقهية.

مباشرة: هذا يخرج القواعد الأصولية، فإن القواعد الأصولية يُتعرف منها حكم الجزئيات الفقهية لكن ليس مباشرة وإنما عن طريق الدليل.

في أكثر من باب: القاعدة لا بد أن تدخل أبوابا متعددة، أما إذا كانت تدخل باباً واحداً فالغالب عند العلماء أنها تسمّى ضابطاً.

فَاحْرِصْ على فَهْمِكَ للقَواعِدِ ... جَامِعَةِ المَسَائِلِ الشَّوارِدِ

هذه أفضل أو أعظم فوائد معرفة القواعد عموما، والقواعد الفقهية خصوصا.

فَتَرْتَقِي في العِلْمِ خَيْرَ مُرتَقَى ... وتَقْتَفِي سُبْلَ الَّذِي قَدْ وُفِّقَا

القواعد إذا حصلها الإنسان فكما قلت لكم: يكون في أعلى الفن، في كل فن، إذا ضبطت قواعد، كنت من أهل القمم فيه، بخالف الذي يعتني بالجزئيات دائما يكون في الوادي.

فإذا ضبطت القواعد ارتقيت في العلم خير مرتقى، واقتفيت سبل أهل العلم الذين يعتنون بالكليات ويردون إليها الجزئيات، وهذه طريقة السلف الصالح رضوان الله عليهم كما أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية في كثيرٍ من المواطن في كتبه.

هَـذِهِ قَواعِـدٌ نَظَمْتُها ... مِنْ كُتْبِ أَهْلِ الْعِلْمِ قَدْ حَصَّلْتُها

جَزاهُمُ المَوْلَى عَظِيمَ الأَجْرِ ... وَالْعَفْوَ مَعْ غُفْرانِهِ وَالْبِرِّ

الشيخ كأنه يقول لك: ليس لي في هذه القواعد سوى النظم، فلم أكن مبتكرا لها، ولا مخترعا لها بل هي قواعد مقررة عند أهل العلم، مستقرة عند أهل العلم، ثبتت بالدليل، واستعملها العلماء، وأنا نظمتها.

وفي هذا اعتراف بالفضل لأهله، وإعادة الفضل إلى أهله، وهكذا ينبغي أن يكون طالب العلم، أن يكون عارفاً بالفضل لأهله، وألَّا يكرَّ على اهل الفضل فور أن يحصل بعض العلم، بعض الناس فور أن يحصل زهورا من العلم، ليس شجرة، زهور من العلم، يكرَّ على أهل الفضل، ويجعل نفسه مثلهم، وقرينا لهم، وأنا مثل فلان، وهو أعلم منّي قليلا،وربما جعلوا أهل الفضل هدفاً لهم، وهذا في الحقيقة ليس من الوفاء، نعم من علمت عليه خطأً من أهل الفضل عليك فليكن أول ردِّ الفضل النصيحة.

كثير منكم جاءوا إلى الجامعة عن طريق بعض الشيوخ، هم الذين شفعوا لهم، بل ربما أخذوا الملف وذهبوا إلى المدير، حتى خرج اسمك في الجامعة، وجئت ودرست على أهل العلم وتبين لك المنهج الرشيد وعرفت والحمد لله، قد يكون عند شيخك خطأ، لا ينبغي أن يكون أول ما ترجع تصيب فؤاده، بل ينبغي أن تبادره بالنصيحة التي تليق، بالأسلوب المناسب، وهكذا، ثم إذا تبين له أو بيَّنت له وأبى فذاك شيء آخر.

مفاصلة أهل السنة لغيرهم منهج شرعي، ولكن كل شيء يوضع في موضعه.

والدعاء لأهل العلم بالعفو، والمغفرة منهج نبوي، والنبي صلى الله عليه وسلم أشار إلى هذا بقوله: **(وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء)**.وإذا أخطأ العالم الذي شُهد له بالعلم والسنة فإنه لا يقر على خطئه، ولا ينصر على خطئه لكن يبقى له فضله، ما دام لم يخرج عن حدّ الفضل، ولم يخرج عن حّد السنة، بل يُدعى له بالمغفرة والرحمة.

أما ما نراه اليوم من أن نرى عالماً، فاضلاً، يدعو إلى السُّنة، وينشر السُّنة، ومعروف، وشجاع، وقال كلاماً -قد يكون أخطأ فيه، وقد يكون أصاب- ثم سهام، سهام، سهام، سهام، هذا يدل على مرض القلوب، والله ثم والله مما تعلمناه وأرجو أن نكون عليه لو أن شيخا من الشيوخ الكبير تكلم فيّ بما أعلم أني منه بريء تمام البُرء، ما رضيت أن أُوجّه له سهماً واحداً، ولا أن يُوجّه له أحدٌ سهماً، لكن مع الرد عن النفس، وبيان الحق، والذب عن النفس، هذا لا يعاب به الإنسان، لكن تربص الأخطاء للعلماء الذين عرفوا بالفضل والسنة و بمجرد أن يقول قولاً لا يناسبنا نحن، نسعى في إسقاطه، ونسعى في جمع الكلام من أهل العلم حتى ننشره بين الناس، هذا غلط وليس منهجا سلفياً أبداً، ولا منهجاً ربانياً أبداً، ويدل على أن في القلوب مرضاً، نحن بين طرفين:

طرف يرى أن العالم لا يُخطئ، وأنه يجب أن يقلَّد في كل شيء، وهذا باطل من القول وزور.

وطرف يرى أن العالم لا يخطئ، فإذا أخطأ لا بدّ أن يسقط، مع أنه ما أتى بمُسقطٍ، وهذا مثل المخالفين في مسائل الإيمان، طرف يرى أن الإيمان واحد لا يتجزأ فإذا ذهب بعضه ذهب كله، وطرف يرى أن الإيمان واحد لا يتجزأ فإذا ثبت بعضه، ثبت كله.

لا، العالم قد يخطئ، وقد يكون عند عالم آخر ما لم يبلغ هذا العالم، أو ما لم يفهمه هذا العالم، قد يبلغه لكن ما يفهمه ، فيقول ما فيه دليل لأنه ما فهم ماذكره هذا العالم، هذا عالم له فضله وهذا عالم له فضله والحق أحق أن يتبع، وأنت ستسأل بين يدي الله عز وجل عن الحق.

فالدعاء للعلماء ومعرفة فضلهم هذا منهج رباني ومنهج سلفي أصيل، وينبغي علينا أن نمرن أنفسنا عليه، إلا من أخرج نفسه عن الفضل، فعلى نفسها جنت براقش.

بهذا نكون انتيهنا مما أردت أن أشرحه في هذا المجلس بحيث أخبرني الإخوة أن المجالس ستكون تسعة مجالس بحيث إن شاء الله نختم المنظومة في هذه المجالس التسعة إن شاء الله بما ينفعكم جميعاً، وأسأل الله أن ينفعني قبلكم، والله أعلم وصلى الله على نبينا وسلّم.